



الكرسي الرسولي

§ قَدَّاسَةُ الْبَابَا فرنسيس

المُقَابَلَةُ الْعَامَّةُ

الأربعاء 19 أكتوبر / تشرين الأول 2016

ساحة القديس بطرس

[Multimedia]

أبها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

إنّ إحدى تبعات ما يُسمّى بالـ "رفاهية" هي حمل الأشخاص على الانغلاق على ذواتهم، جاعلة إياهم غير مهتمين لاحتياجات الآخرين. فبمّا فعل كلّ شيء لإيصالهم من خلال تقديم أمثلة حياة زائلة، تختفي بعد بضع سنوات، كما ولو كانت حياتنا موضة تتبعها وتتغيّر في كلّ مرحلة. ليس الأمر هكذا. لأنّه ينبغي قبول الواقع ومواجهته لما هو عليه، وغالباً ما يجعلنا نواجه حالات عوز مُلِحّ. لذلك ومن بين أعمال الرّحمة نجد التذكير بالجوع والعطش: أن نُطعم الجائعين - وهناك الكثيرين منهم اليوم - ونُسقي العطاش. كم من مرّة تخبرنا وسائل الإعلام عن شعوب تتألّم بسبب نقص الطعام والماء بالإضافة إلى تبعات خطيرة لاسيّما على الأطفال.

إزاء بعض الأخبار ولاسيّما بعض الصّور، يشعر الرّأي العام بالتأثر وتتطلق بين مرّة وأخرى حملات مساعدة لتحفيز التضامن. تصبح المساعدات سخية وبهذا الشكل يمكن المساهمة في تخفيف ألم الكثيرين. إنّ هذا الشكل من أشكال المحبّة مهمّ، وإنما ربّما لا يطالنا بشكل مباشر. ولكن عندما نسير في دربنا ونلتقي بشخص معوز أو يأتي فقير ليقرع على باب بيتنا، يصبح الأمر مختلفاً لأنني لست أمام صورة ما بعد الآن وإنما هذا الأمر أصبح يطالني بشكل شخصيّ. تزول كلّ مسافة بيني وبينه أو بيني وبينها وأشعر أنّ الأمر يُسألني. إنّ الفقر بمعناه المطلق لا يُسألنا ولكنّه يجعلنا نفكّر وتندمّر، ولكن عندما نرى الفقر في جسد رجل أو امرأة أو طفل فهذا الأمر يُسألنا! ولذلك، فعادتنا بالهروب من المعوزين وعدم الاقتراب منهم أو بتجميل واقعهم بحجّة العادة تجعلنا نبتعد عن هذا الواقع. ولكن عندما تغيب المسافة بيني وبين الفقير الذي ألتقي به ماذا تكون ردّة فعلي في هذه الحالات؟ هل أحول نظري إلى الجهة الأخرى وأعبر؟ أم أتوقّف للتكلّم معه وأهتمّ بحالته؟ وإن أنت قمت بذلك، فسيكون هناك بالتأكيد من سيقول: "أنظروا إلى هذا المجنون الذي يتحدّث مع فقير!"، هل أرى إن كان بإمكانني أن أقبل بطريقة ما ذاك الشخص أو أسعى للتخلّص منه بأسرع وقت؟ ولكن ربّما يطلب الضروريّ فقط: شيء للأكل والشرب. لنفكّر للحظة: كم من مرّة تلو صلاة "الآبانا"، ومع ذلك لا تنتبه حقاً لتلك الكلمات: "أعطنا خبزنا كفاف يومنا".

في الكتاب المقدّس، يقول أحد المزامير إنّ الله هو الذي "يرزق كلّ حيّ طعامه" (مز 136، 25). إنّ اختبار الجوع لقاس، وقد عرفه من عايشه في فترات حرب أو مجاعة. ومع ذلك يتكرّر هذا الاختبار يوميّاً ويُقيم بالقرب من الوفرة والتبذير. تبقى كلمات الرّسول يعقوب آنية على الدوام: "ماذا يَنْفَع، يا إخوتي، أن يقول أحد إنّه يُؤمن، إن لم يعمل؟

أَبُوسَعُ الْإِيمَانَ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ أَحٌ عَرَبَانٌ أَوْ أُخْتُ عَرَبَانَةٍ يَنْقُصُهُمَا قُوتٌ يَوْمَهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمْ: "إِذْهَبَا بِسَلَامٍ فَاسْتَدْفِنَا وَاشْبَعَا" وَلَمْ تُعْطَوْهُمَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَسَدُ، مَاذَا يَنْفَعُ قَوْلُكُمْ؟ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ، فَإِنْ لَمْ يَقْتَرَنَّ بِالْأَعْمَالِ كَانَ مِيتًا فِي حَدِّ ذَاتِهِ" (يع ٢، ١٤-١٧): يَكُونُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْعَمَلِ وَعَلَى الْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ مَحَبَّةً. هُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ شَخْصٌ جَائِعٌ وَعَطْشَانٌ وَيَحْتَاجُ إِلَيَّ. لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُكَلِّفَ شَخْصًا آخَرَ مَكَانِي. هَذَا الْفَقِيرُ يَحْتَاجُ إِلَيَّ وَإِلَى مُسَاعَدَتِي وَكَلِمَتِي وَالْتِزَامِي. إِنَّهُ أَمْرٌ بِطَالِنَا جَمِيعًا.

هَذَا هُوَ أَيْضًا تَعْلِيمُ تِلْكَ الصَّفْحَةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ الَّتِي يَرَى فِيهَا يَسُوعُ جَمْعًا كَبِيرًا يَتَّبِعُهُ فَيَطْلُبُ مِنْ تَلَامِيذِهِ قَائِلًا: "مِنْ أَيْنَ نَشْتَرِي خُبْزًا لِيَأْكُلَ هَؤُلَاءِ"، فَأَجَابَهُ التَّلَامِيذُ قَائِلِينَ: "إِنَّهُ لِأَمْرٍ مُسْتَحِيلٍ، مِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تَصْرَفَهُمْ...". لَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُمْ: "أَعْطَوْهُمْ أَنْتُمْ مَا يَأْكُلُونَ" (را. مر ٦، ٣٧). وَطَلَبَ أَنْ يُعْطَوْهُ الْأَرْغِفَةُ وَالسَّمَكَتَيْنِ الَّتِي كَانَتَا بِحُوزَتِهِمَا، فَبَارَكَهُمَا وَكَسَرَهُمَا وَوَزَعَهُمَا عَلَى الْجَمِيعِ. إِنَّهُ دَرَسَ مَعَهُمْ جَدًّا لَنَا، وَيَقُولُ لَنَا إِنَّ الْقَلِيلَ الَّذِي لَدَيْنَا إِنْ أَوْكَلْنَاهُ إِلَى يَدَيِّ يَسُوعَ وَتَقَاسَمْنَاهُ بِالْإِيمَانِ يَصْبِحُ غِنَى وَافِرًا.

يُؤَكِّدُ الْبَابَا بِنْدِكْتِسُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي الرِّسَالَةِ الْعَامَّةِ "الْمَحَبَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ": "إِنَّ إِطْعَامَ الْجِيَاعِ لَوَاجِبٌ أَخْلَاقِيٌّ لِلْكَنِيسَةِ الْجَامِعَةِ (...). فَالْحَقُّ فِي الْحَصُولِ عَلَى الْغِذَاءِ وَالْمِيَاهِ، يَلْعَبُ دَوْرًا هَامًا فِي الْحَصُولِ عَلَى الْحَقُوقِ الْآخَرِيَّةِ (...). وَلِذَلِكَ فَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَنْضَجَ وَعَيٌّْ مُشْتَرِكٌ فِي عَتَبَاتِ الْغِذَاءِ وَالْمِيَاهِ حَقُوقًا عَالَمِيَّةً لِجَمِيعِ الْبَشَرِ، دُونَ تَفْرِيقَةٍ أَوْ تَمْيِيزٍ" (عدد ٢٧). لَا نَنْسِينُ كَلِمَاتِ يَسُوعَ: "أَنَا خُبْزُ الْحَيَاةِ" (يو ٦، ٣٥) وَ"إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَقْبِلْ إِلَيَّ" (يو ٧، ٣٧). هَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ حَافِزٌ بِالنِّسْبَةِ لَنَا جَمِيعًا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ كَيْ نَعْتَرَفَ أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ إِطْعَامِ الْجِيَاعِ وَإِرْوَاءِ الْعَطَاشِ، تَمَرَّ عِلَاقَتَنَا مَعَ اللَّهِ، إِلَهُ الَّذِي أَظْهَرَ وَجْهَهُ فِي يَسُوعَ، وَجْهَ الرَّحْمَةِ.

* * * *

Speaker:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْأَعْزَاءُ، إِنَّ إِحْدَى تَبَعَاتِ مَا يُسَمَّى بِالـ "رَفَاهِيَّةِ" هِيَ حَمْلُ الْأَشْخَاصِ عَلَى الْإِنْغِلَاقِ عَلَى ذَوَاتِهِمْ، جَاعِلَةً إِيَّاهُمْ غَيْرَ مُهْتَمِّينَ لِاحْتِيَاجَاتِ الْآخَرِينَ. لِذَلِكَ وَمِنْ بَيْنِ أَعْمَالِ الرَّحْمَةِ نَجِدُ التَّذَكِيرَ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ: أَنْ تُطْعِمَ الْجَائِعِينَ وَتُسْقِيَ الْعَطْشَانَ. إِزَاءَ بَعْضِ الْأَخْبَارِ وَلَا سِيَّمَا بَعْضِ الصُّورِ، يَشْعُرُ الرَّأْيُ الْعَامُّ بِالتَّأَثُّرِ وَتَتَطَلَّقُ بَيْنَ مَرَّةٍ وَآخَرِيٍّ حَمَلَاتُ مُسَاعَدَةٍ لِتَحْفِيزِ التَّضَامَنِ. إِنَّ هَذَا الشَّكْلَ مِنْ أَشْكَالِ الْمَحَبَّةِ مَهْمٌ، وَإِنَّمَا رَبَّمَا لَا يَطَالِنَا بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَسِيرُ فِي دَرَبِنَا وَنَلْتَقِي بِشَخْصٍ مَعُوزٍ أَوْ يَأْتِي فَقِيرٌ لِيَقْرَعَ عَلَيَّ بَابَ بَيْتِنَا، يَصْبِحُ الْأَمْرُ مُخْتَلَفًا لِأَنَّ الْأَمْرَ أَصْبَحَ يَطَالِنِي بِشَكْلٍ شَخْصِيٍّ. مَا هِيَ رَدَّةُ فِعْلِي فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ؟ هَلْ أَحْوَلُ نَظْرِي إِلَى الْجِهَةِ الْآخَرِيَّةِ وَأُعْبِرُ؟ أَمْ أَتَوَقَّفُ لِلتَّكَلُّمِ مَعَهُ وَأَهْتَمُّ بِحَالَتِهِ؟ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، يَقُولُ أَحَدُ الْمَزَامِيرِ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي "يُرْزَقُ كُلَّ حَبِّ طَعَامِهِ". إِنَّ اخْتِبَارَ الْجُوعِ لِقَاسٍ، وَقَدْ عَرَفَهُ مِنْ عَائِشَتِهِ فِي فِتْرَاتِ حَرْبٍ أَوْ مَجَاعَةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ يَتَكَرَّرُ هَذَا الْاِخْتِبَارُ يَوْمِيًّا وَيُقِيمُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْوَفْرَةِ وَالتَّبْذِيرِ. تَبْقَى كَلِمَاتُ الرَّسُولِ يَعْقُوبَ آتِيَةً عَلَى الدَّوَامِ: "مَاذَا يَنْفَعُ، يَا إِخْوَتِي، أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ إِنَّهُ يُؤْمِنُ، إِنْ لَمْ يَعْمَلْ؟ فَالْإِيمَانُ إِنْ لَمْ يَقْتَرَنَّ بِالْأَعْمَالِ كَانَ مِيتًا فِي حَدِّ ذَاتِهِ". أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْأَعْزَاءُ، هُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ شَخْصٌ جَائِعٌ وَعَطْشَانٌ وَيَحْتَاجُ إِلَيَّ. لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُكَلِّفَ شَخْصًا آخَرَ مَكَانِي. هَذَا الْفَقِيرُ يَحْتَاجُ إِلَيَّ وَإِلَى مُسَاعَدَتِي وَكَلِمَتِي وَالْتِزَامِي.

* * * * *

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale benvenuto ai pellegrini di lingua araba, in particolare a quelli provenienti dal Medio Oriente! Cari fratelli e sorelle, Gesù ci invita a fare spazio nel nostro cuore all'urgenza di «dare da mangiare agli affamati», condividere ciò che abbiamo con coloro che non hanno i mezzi per soddisfare un bisogno così primario, ci educa a quella carità che è un dono traboccante di passione per la vita dei poveri che il Signore ci fa incontrare. Il Signore vi benedica!

* * * * *

Speaker:

أرحبُ بالحجاج الناطقين باللغة العربية، وخاصةً بالقادمين من الشرق الأوسط. أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، يدعونا يسوع لنفسح مكاناً في قلوبنا للضرورة الملحة "لإطعام الجياع"، إنّ مقاسمة ما نملكه مع الذين لا يملكون الوسائل الكفيلة بتلبية هذه الحاجة الأساسية، تُربينا على تلك المحبة التي هي عطية تفيض بالحماسة المتقدمة لحياة الفقراء الذين يجعلنا الربّ نلتقي بهم. ليبارككم الربّ!

©جميع الحقوق محفوظة - حاضرة الفاتيكان 2016